

المحاضرة الأولى: حدود مصطلح الأسلوبية

نهدف في هذه المحاضرة إلى التدقيق في مصطلح (الأسلوبية، Stylistique) خاصة أنه من المصطلحات التي اهتم بها في الدراسات اللغوية والنقدية، فإذا بهذا المصطلح يتواشج مع اللسانيات فرعا على أصل طوراً، وأصلاً متفرعاً طوراً آخر. وقد ارتأينا أن نبحث في حدود **المصطلح لغة واصطلاحاً**، لأن الكلمة في شكلها العربي مغرية بالبحث فيها، ومقاربتها مقارنةً مقارنيةً بمقابلها الأعجمي، فليس المهم تعريف الأسلوبية فقط، بل كما يقول حمادي صمودة "الإجابة عن السؤال: **مامعنى الأسلوب في نطاق العلم الذي يسمى الأسلوبية؟**".

الأسلوبية لغة:

- يحيل مصطلح (الأسلوبية) على ألفاظ مشتقة من جذر (س.ل.ب)، ومنها:
- السَّلْبُ: وهو "الاختلاس، والسَّلْبُ: ما يُسَلَبُ ... والجمع أسلابٌ".
- السِّلَابُ والسُّلْبُ: وهي "ثيابٌ سودٌ تلبسها النساءُ في المأتم، وحدثها سَلْبَةٌ".
- أُسْلُوبٌ: وهو "كل طريقٍ ممتدّ".
- الأُسْلُوبُ: وهو "الطريق، والوجه، والمذهب، يقال: أنتم في أُسْلُوبِ سُوءٍ، ويُجمَعُ أساليبٌ. والأسلوبُ: الطريقُ تأخذ فيه".
- أساليبٌ: "والأسلوبُ، بالضم: الفنُّ؛ يقال: أخذ فلانٌ في أساليبٍ من القول أي أفانينَ منه".
- السَّلْبُ: وهو "ضربٌ من الشجر ينبتُ مُتناسقا، ويَطولُ فيؤخَذُ ويَمَلُّ، ثم يُشَقَّقُ، فتخرج منه مُشاقَّةٌ بيضاءٌ كالليف، وحدثه سَلْبَةٌ، وهو من أجود ما يُتخذ منه الحبال".

- نستخلص من التحديد اللغوي لمادة (س.ل.ب) ومن مختلف معاني الألفاظ المشتقة منها أنها تصب في معنى جامع هو **أن الأسلوب هو الطريق**، وذلك بنهج أي طريق في الحياة بصفة عامة ومنها مثلا: لبس النساء للثياب السود للتعبير عن الحزن في المآتم، وتتأكد صلة الأسلوب بالطريق من خلال مقابله بفنون القول "أخذ فلان في أساليب من القول أي أفانين منه"؛ أي اتباع طريقة خاصة في نظم الكلام.

إذن

فمصطلح (الأسلوبية) لم يستعمل بالمفهوم المشهور في المعجمية العربية. ولعل الأسلوبيين العرب استلهموا مصطلحهم المعروف بـ (الأسلوبية) من هذا اللفظ بإضافة اللاحقة (ية)، فصار على هيئة المصدر الصناعي الدال بصورته الاشتقاقية على الإطار النظري العام الذي يعنى بعلم الأسلوب اللغوي.

بالإضافة إلى هذا مصطلح نجد عدة مصطلحات يراد بها **الأسلوبية**، أبرزها: (**علم**
الأسلوب، الأسلوبيات).



لكن اعتمد أكثر مصطلح (**الأسلوبية**) وهو ما يقر به مجمع اللغة العربية بالقاهرة على اعتبار أنه أوفق من علم الأسلوب، كونها لفظة تقرها العربية؛ لأنها مصدر صناعي، تأسيساً على قاعدة مفادها: "إذا أُريدُ صنع مصدر من كلمة، يُزاد عليها ياء النسب".

اصطلاحا:



إذا كان العرب لم يمارسوا الأسلوبية من حيث هي منهج في دراسة الأدب ونقده، يعني بدراسة أسلوب الخطاب الأدبي في مختلف تجلياته؛ الصوتية، والتركيبية، والدلالية، برصد السمات الفنية التي يكتنزها، والبحث في كيفية تحول الخطاب الإبداعي من وظيفته النفعية العادية، إلى الوظيفة الشعرية، وأثار ذلك كله في المتلقي.

فهذا لا يعني أنهم لم يعدموا شيئا من الإشارة إليها أو ملامستها تحت تأملات وملاحظات أسلوبية مختلفة، **ما مظاهر هذه الممارسات الأسلوبية المبكرة في التراث العربي؟**

الممارسة الأسلوبية في النقد العربي القديم:

”الشاعر المجيد من سلك هذه الأساليب
وعدل بين هذه الأقسام فلم يجعل واحدا
منها أغلب على الشعر ولم يطل فيمل
السامعين ولم يقطع وبالنفوس ظمأ
إلى المزيد.“

ابن قتيبة
(ت277هـ)

”يرق شعر أحدهم، ويصلب شعر الآخر،
ويسهل لفظ أحدهم، ويتوعر منطق
غيره، وإنما ذلك بحسب اختلاف الطبائع
وتركيب الخلق.“

القاضي
الجرجاني
(ت392هـ)

”واعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نهجت، فلا تزيغ عنها وتحفظ الرسوم التي رسمت لك، فلا تُخَلَّ بشيء منها“، كما يقول أيضا: ”تعرف من البيت الواحد مكان الرجل من الفضل وموضعه من الحذق، وتشهد له بفضل المنّة وطول الباع وحتى تعلم، إن تعلم القائل ، أنه من قبل شاعر فحل“.

عبد القاهر
الجرجاني
(ت471هـ)

”لما كانت الأغراض الشعرية يوقع في واحد منها الجملة الكبيرة من المعاني والمقاصد، وكانت لتلك المعاني جهات فيها توجد ومسائل منها تقتنى كجهة وصف المحبوب وجهة وصف الخيال ... وهياة تسمى الأسلوب، وجب أن تكون نسبة الأسلوب إلى المعاني نسبة النظم إلى الألفاظ، لأن الأسلوب يحصل عن كيفية الاستمرار في أوصاف جهة جهة من جهات غرض القول... فالأسلوب هياة تحصل عن التأليفات المعنوية ، والنظم هياة تحصل عن التأليفات اللفظية“.

حازم
القرطاجني
(ت684هـ)

نستخلص من النماذج السابقة لأهم النقاد والبلاغيين العرب القدامى أنه استخدم الأسلوب بعده طريقة في النظم الكلام، رعاية للسامع وتلطفاً به يختلف باختلاف الأغراض والمذاهب وهو ما جاء به قول كل من ابن قتيبة والقاضي الجرجاني.

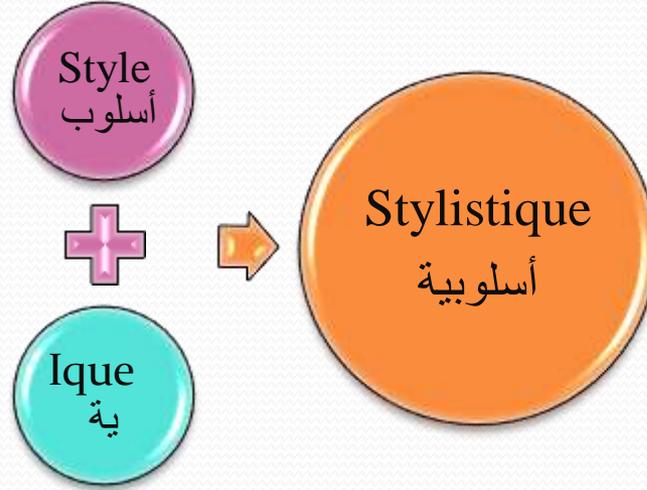
أما عبد القاهر الجرجاني فقد تناول الأسلوب على نحو لم نعهده عند من سبقه، حيث ربط الأسلوب بالنظم باعتباره أداة الأسلوب ينتظم التركيب اللغوي، لأن الألفاظ مغلقة على معانيها، فيكون الإعراب مفتاحاً لها، وإذا أدرك المبدع ذلك استقام له الأسلوب.

ثم نجد أن حازم القرطاجني أول من تناول الأسلوب في فصل من كتابه : منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ولهذا فيعتبر ما قدمه حازم قمة ما توصل إليه تفكير العرب قديماً بالأسلوب كما يقول محمد هادي الطرابلسي: ”فقد قدم إلينا بكثير من المعطيات التي تعد اليوم أساسية في تعريف الأسلوب، فقد ربط الأسلوب بصورة إخراج الكلام لا بأغراضه، وبهذا أوحى بذهابه إلى أن الأسلوب أعلق ببنية النص الدالة منه بأبعاده المدلولة“. لكننا لا نجد في استخدامه للأسلوب على اهتمام واضح بالإطار النظري الذي يتحكم في الأسلوبية بصفتها علماً له موضوع محدد.

والحق أن الأسلوبية لم تتخذ شكل مشروع عملي إلا بفضل ظهور الدراسات اللغوية الحديثة في بداية القرن العشرين.

فما خصائص هذا المشروع العلمي؟ وما هي رهاناته؟

ظهرت الأسلوبية في القرن التاسع عشر، ولم يتحدد مفهومها إلا في مطلع القرن العشرين مع اللغوي السويسري (شارل بالي).



فهي ترجمة للمصطلح الغربي **Stylistique**، من دال مركب جذره (**أسلوب Style**) ، ولا حقيقته (**ية ique**)، فالأسلوب ذو مدلول إنساني ذاتي، وبالتالي نسبي، ولا حقيقته تختص بالبعد العلماني العقلي ، وبالتالي الموضوعي، ولذلك تعرف الأسلوبية **بالعلم الذي يدرس الأسلوب؛ علم الأسلوب، أي (البحث عن الأسس الموضوعية لإرساء علم الأسلوب).**

مفهوم الأسلوبية في الدرس الغربي:

اشتقت الأسلوبية من الجذر اليوناني (Stylus) والذي يعني (مِرقم الشمع)، وهي أداة الكتابة على ألواح الشمع، ثم انتقلت إلى معانٍ آخر تتعلق بطبيعة الكتابة اليدوية للمخطوطات، فأصبح الأسلوب يطلق على التعبيرات اللغوية والأدبية، بل عدَّ في كتب البلاغة الإغريقية وسيلة من وسائل الإقناع، واندرج تحت علم الخطابة، وخاصة فيما يتعلق باختيار الكلمات المناسبة للمقام.



تختزل المفاهيم الجوهرية لمصطلح الأسلوب كما ورد في كتاب (مناهج النقد المعاصر) للباحث صلاح فصل طبقاً للنموذج التواصلي المشهور في الدراسات اللسانية في ثلاث مجموعات، هي (المخاطب، الخطاب، المخاطب)

المخاطب

الخطاب

المخاطب

وتندرج ضمنه مجموعة تعاريف الأسلوب التي تركز على الطرف الثالث في التواصل وهو المتلقي، فالأسلوبية تبحث في هذا المضمار عن المواطن التي تؤثر في المتلقي، فيميز بين الخواص الأسلوبية ويدركها، ويكشف انحرافها، ومن أبرز رواد هذا المفهوم (بيير جيرو) الذي يعتبر الأسلوب أوانا تنضاف إلى الخطاب قصد شد انتباه القارئ، وإقناعه، وإمتاعه.

وتندرج ضمنه مجموعة تعاريف الأسلوب التي ترد إلى النص بحد ذاته بغض النظر عن قائله وذلك تأسيساً على مقولة موت المؤلف وحضور سلطة النص، وهنا تبرو تعريفات الأسلوب باعتباره انحرافاً عن القاعدة "إنه انزياح بالنسبة للمعيار أي أنه خطأ ولكنه خطأ مقصود، وكذلك تضم تعريفات الأسلوب باعتباره "محصلة مجموعة من الملامح المرجعة بنظام خاص في النص الأدبي"؛ فالملمح الواحد لا يمكن أن يشكل سمة أسلوبية إلا إذا ثبت تكراره في ثنايا النص.

وتندرج ضمنه مجموعة تعاريف الأسلوب التي ترد إلى المخاطب/ المرسل ابتداءً من التعريف الشهير لـ (دي بيفون) في عمله المشهور (مقال في الأسلوبية) الذي انتهى أن "الأسلوب هو الرجل نفسه"؛ أي أنه الطريقة التي ينتهجها الكاتب المبدع للتعبير عن موقفه، وللإبانة عن شخصيته الأدبية المتميزة عن سواها، لاسيما في اختيار المفردات، وصياغة العبارات.

هدفها،
ومهجها:

تهدف إلى تحليل النصوص الأدبية، برصد الملامح المميزة له، والنزوع بالأحكام النقدية عن الانطباع غير المعلن، واقتحام عالم الذوق وكشف السر اللغوي في ضروب الانفعال التي يخلقها الأثر الأدبي في متقبله. أما **منهجها** في النفاذ إلى أسلوب النص منهج لغوي، يروم الوقوف على الخصائص اللغوية فيه، وذلك بالتوقف عند البنى اللغوية بشتى تشكيلاتها؛ **(الصوتية، الصرفية، التركيبية الدلالية)**.